الشباب صناع المستقبل والثورة والتغيير.
عبدربه منصور هادي - رئيس الجمهورية
14 أكتوبر
يومية - سياسية - عامة
www.14october.com

العـــرَّابْ . God Father

محمد مرشد ناجي ..
الفنان والمناضل الجسور
2 _1

رحل عنا قامة فنية وثقافية وسياسـية بطول وعرض هذا الوطن، وإن كنت اعتب وطني الرحب والفسـيح الذي كان يشعرني بالاستقرار والأمان الدائم بتنفسه للحياة وحسِّه النابض بقلبه الكبير الذي اتسع ويتسع لكل محبيه وملايين الناس المعجبين بشخصه وفنه ولمواقفه.

فها نحن نتذوق مرارة العلقم بفراقه عنّا وعن دنيتنا ، فكيف سيكون العيش بدون الرمز والأب الروحي الذي كنا نعتبره كرامتنا في حياة الفن وحياتنا العامة وبوصلتنا التي ترشدنا عندما نتوه في مسألة ما في حياتنا الفنية ليرشدنا كي نسلك الطريق الصواب، فها نحن نضيِّع الطريق بفراقه عنا . إن وفاة أبي الروحي ومعلمي وقدوتي الفنان/ محمد مرشد ناجي نكبة كبرى بالنسبة لي ، وفُقْدَان وطن بكامله . ربنا يرحمه بواسع رحمته.

ماذا أقول عن (أبو علي) الأستاذ / محمد مرشد ناجي، هذا العملاق والموسيقار الكبير الذي يكتنز في وجدانه أغلى وأثمن الدرر والجواهر في الخلق والإبداع الغنائي.

وماذا أقول عن هذا الفنان والإنسان والمثقف والمناضل الوطني والقومي، ذو الرؤية السياسية الاجتماعية والثقافية الجريئة.

ماذا أقول عن المرشـدي المناضل الصلب الذي لم تنحن هامته لأي كان مهما كبر اسـمه أو شـأنه، أكان في عهد الاستعمار أو ما بعد الثورة والاستقلال الوطني ، فظل شامخاً شموخ شمسان وعيبان، لا يطأطئ إلا لله.

ماذا أقول عن (أبو علي) صاحب أعظم نغم أصيل، تفجر بروح ومعاناة الناس والبسطاء ، بهجةً وفرحاً وهموماً جسدها هذا الفنان الكبير عبر عشرات السنين.

ماذا أقول عن هذا الطود – صاحب الموهبة الفذة بشموخها وسموقها وعن ملكته العذراء التي لا تجدها في أي فنان يمني ظهر من أقرانه والى الآن.

› نجيب سعيد ثابت

أغانيه الوطنية والعاطفية

لقد جسَّد فناننا المرشدي – هذا الفنان العملاق – بموسيقاه وبأغانيه الوطنية والوجدانية – تزامناً مع مراحل مختلفة من حقبات تاريخنا، وفي مفاصل هامة من التغيرات الاجتماعية التي ألقت بظلالها على واقعنا اليمني بشكل عام – حرية وكرامة الأوطان وانتزاعهما من أي مستعمر أو مستبد وظالم،والوقوف بكل شجاعة لرفض الظلم والتعسف والاستبداد. هكذا عرفنا المرشدي المناضل والمتفاني لقضايا شعبه لمواقفه وصدى أغانية الوطنية التي كانت تهز أركان المستعمر والمستبد من صوتها المدَوي، يقيناً منه إن أشكال الفنون التعبيرية كافة وبخاصة الدور الذي تقوم به الأغنية الوطنية في أي مجتمع من المجتمعات برغم الصعوبات البالغة بين تفاعل الفن وتعبيره للواقع المعاش والقوانين والممارسات التي تتسم بتعقيدات وصعوبات جمة وتقييد الحريات باعتبار (أن الفن محط أنظار الحاكم وعيونه التي لا تنام) بل تجد أن المساحة التي تعطى للفن في التعبير محدودة لا تلبي الدور والمهام اللذين يقوم بهما في المجتمع ، وهذا ما جسده هذا الفنان النابغة بموسيقاه وأغانيه الوطنية والعاطفية تزامناً مع مراحل مختلفة في حقباتها التاريخية ومفاصل مهمة من التغييرات الاجتماعية التي ألقت بظلالها على واقعنا اليمني، لذا فإن الفن الغنائي الوطني والتحريضي الذي يتميز به الفنان المرشدي بالتثوير وحث المجتمعات لرفض الظلم والعسف، والنضال المستميت لنيل الخلاص والتحرر من كل أشكال الظلم والاستعمار ورموز الطغيان ... الخ ، فإنه أي هذا الفن هو أحد أهم أنواع وأشكال الفنون المعبرة وأخطرها على حياة أي فنان عشق هذا المجال، وفناننا (أبو علي) الأستاذ / محمد مرشدناجي قد عانى من التهديدات والممارسات التي كانت تمارسها السلطات ضده آنذاك ، من قِبل بعض النفوس المريضة الحاكمة، وبالطبع كانت حياته مهددة أيضا، لتمسكه بمقارعة الظلم والاستبداد وكل أنواع الاضطهاد الذي كان يمارس من قبل الاستعمار وما بعده.

إن هذا السلاح وهو الفن تميز عن غيره من الفنون الأخرى في عملية الاستعداد النفسي والذهني وصعوبة الأداء لتنفيذ هذه المهمة المقدسة التي يحملها الفنان على عاتقه في هذا الكفاح ، والذي قد يُودي بحياة الفرد من هؤلاء الفنانين، ومن بعده يتأذى من حوله من أهله وقد تصل إلى أصدقائه ومن يعرفونه.

وقد شاهدنا وعايشنا الكثير من هذه الصور الحياتية المؤلمة أثناء الكفاح المسلح وما بعد الاستقلال الوطني تُمارس عليهم (المبدعين) تحت شعار أنهم أعداء الشعب وأعداء الثورة، ولم يسلم من هذه (البركات) كبار الشخصيات الاجتماعية والتربوية والمثقفين والأدباء الذين كانوا أكثر عرضة لهذه الممارسات الترهيبية غير المسئولة والمتخلفة ، وكان على رأس هؤلاء الأستاذ محمد مرشد ناجي كما ذكرنا والذي عانى الكثير من ويلات الحكام والى جانبه عددٌ كبير من الفنانين والمثقفين والأدباء الذين سُجنوا وعُذبوا في عهد الاستعمار وما بعد الثورة ، بعد أن كيلت لهم الإتهامات بالعمالة والخيانة ...الخ. وظل محمد مرشد ناجي متمسكاً بهذه الأهداف النبيلة لقضية شعبه ودفع ثمنها غالياً وظل صامداً ومتماسكاً لم تهزه أو تجعله تلك الممارسات يحيد أو يتراجع عن أي هدف من أهدافه أو مواقفه الوطنية .إن ما قامت به الأغنية اليمنية الوطنية من دور جلي وبطولي ومؤثر في عملية التثوير والتوعية ونشر القيم المثلى والمفاهيم الوطنية لنيل الحرية والتحرر بالكفاح والنضال المريرين للوصول إلى تحقيق هذه الحرية وانتزاعهامن المستعمر في الجنوب اليمني والانتهاء والخلاص من الحكم الإمامي إلى غير رجعة في مناطق الشمال اليمني.

كل ذلك يدل دلالة قاطعة على قوة وضخامة الدور العظيم للأغنية اليمنية في تحقيق الثورتين الغاليتين في الوطن اليمني شمالاً وجنوباً ونيل الخلاص والاستقلال معاً، وكانت أغاني المرشدي الوطنية والتحريضية من الأغاني السبّاقة التي ألهبت حماسة الشعب وكان لها الدور في تحقيق الثورتين اليمنيتين. إن هذا الدور المهم والخطير للأغنية التي شكلتها عبقرية هذا الفنان الكبير والمناضل والى جانبه كوكبة من المبدعين لم ينبت نبتاً شيطانياً هكذا وبدون مقدمات أو مسببات ، ولكن كان نتاجاً لبيئته ، ولتاريخ طويل في مجتمع مدني اجتمعت فيه كل مبادئ الثورة الفرنسية من احترام للآخر وسيادة القانون ومجتمع العدل والمساواة ، وحرية الصحافة ...الخ.

إنه تاريخ طويل حمل في رحمه حراكاً عنيفاً وعلى كل المستويات كما هو الحال في الفن وكل أشكاله الإبداعية والذي اعتمد ، كلمة تحفر الصخر ، ولحناً يهز الوجدان، وأداء يدك حصون المستعمر ويحفر قبور السلطنات والمشيخات ويبشر بأفول قوى الظلام والارتجاع. لقد كان دوراً حملته أغاني المرشدي الوطنية بكل بذل وعزم وعطاء ، حرك الساكن ، واسمع البعيد وأنطق الجماد ، حمل معاناة ناس ، وأحلام شعب، ونوايا جماهير ، كانت مكبوتة لغد أفضل لمن حولنا ، تخطه وتحفر حروفه هي على جدران التاريخ وتزرعه نبتاً على أرضه ، يظلل وطناً أصبح لزاماً وواجباً أن يستريح ويريح .

إن هذا القامة كان على رأس كوكبة أحدثت العجائب في مجال الأغنية ، سواء الوطنية أو العاطفية، كوكبة استنشقت هواءً صحياً لتجارب رائدة ومتقدمة صنعتها شعوب في الفضاء القومي في مصر ولبنان والعراق ، راقبت بعين الخبير ما صنعه الأشقاء من تحولات كبرى في عناصر الأغنية ، هذه التحولات التي شكلت بعدئذ وبحق طفرة كبرى منذ بدايات القرن العشرين، بما مكن هذه الكوكبة جيلاً بعد جيل وعلى رأسهم فناننا العملاق محمد مرشد ناجي من ابتكار المقدمات الموسيقية وتنويع الكوبليهات الموسيقية في الأغنية الواحدة، وإدخال بعض الآلات الموسيقية التي كانت لا تتوفر في جوقة العازفين المرافقين للفنان ، تلك الجوقة التي كانت لا تتعدى أصابع واليد حتى مطلع العقد الخمسيني ، ولم يكن دور التأثير في جوهر الأغنية آنذاك (الميلودي) بذلك الدور الضخم المؤثر حيث نهلت الأغنية الحديثة العدنية في جوهرها من ألوان الغناء اليمني المتعددة: الصنعاني والحضرمي واليافعي وهي بحق تعتبر مزيج أكسير موسيقى حوى كل هذه الألوان اليمنية الأصيلة وفناننا المرشدي أحد الرواد الكبار والمحدثين للأغنية اليمنية الحديثة وقدم عشرات الأغاني التي انتشرت انتشاراً اكتسح به كافة المناطق اليمنية ودول الجزيرة والخليج، وسنسلط الأضواء على دور الفنان المرشدي في الغناء الوجداني في مقال مفصل قريباً بإذن الله تعالى .

كما كان (أبو علي) عاشقاً للتراث الغنائي اليمني بكافة أشكاله وألوانه الغنائية وعلى دراية بعمق هذا التراث وأهميته.

معاناة الإنسان اليمني

إن هذه القضايا التي ذكرناها ما هي إلا جزء بسيط لصور وأحداث من ذلك الواقع الأليم ومعاناة الإنسان اليمني بالتنكيل به وقهره واستلاب روحه في وطنه، هذا الوطن الذي كان يعيش معظمه معزولاً خارج نطاق العصر، وعقارب الساعة وزمن المعرفة والتطور وما يصنعه بنو البشر من حوله، وكان من الصعب على الإنسان اليمني أن يجاري هذه الأحداث وهذا التطور لغياب الحرية التي تفتح أمامه منافذ الارتقاء والوعي والانطلاق بطموحاته نحو المستقبل المتوهج بنور الحضارة المدنيّة.

إن الإنسان اليمني كان واعياً لهذا الواقع المزري لحياة التخلف والجهل التي تحاصره من كل جانب ويتجرع المر لواقعه المعاش ويدرك أيضاً أن هذا الواقع حوله إلى شخص وإنسان شبيه بكتلة من البؤس والشقاء والتعب ، وإن لا مناص للقضاء على ذلك الشقاء والبؤس إلا بكسر هذه القيود التي تقيده وتدمي يديه وقدميه.

وكان الخنوع والسكوت والرضا بهذا الواقع الذي يحيط به هو الانتحار بعينه ، ولا بد من الخلاص ونيل الحرية ورسم واقع أفضل لوطن يريد أن يرى النور وكانت أغاني المرشدي هي النور والأمل والحرية الخلاص، وجاءت كالزلازل وقعت تحت أقدام المستبد والمستعمر وحطت كالبراكين على رؤوس الطغاة والموتورين.

. التشبث بأهدافه النبيلة: لقد كان جلياً على فناننا العملاق والمناضل محمد مرشد ناجي ابن هذه الأرض الذي ظل مشدوداً وعاشقاً لها وأعطاها كل ما يملك من جهد ووقت وصحة.

وظل متشبثاً بأهدافه النبيلة التي قطعها على نفسه للتعبير عنها بوعي وإدراك شديدين في عشرات الأغاني الوطنية التي كان لها دوراً كبيراً في فترتي الخمسينات والستينات من القرن الفائت في تحريض وتثوير المجتمع على مستوى الحفلات الموسيقية التي كانت تقام في مدرسة البادري في كريتر وفي الحفلات المتفرقة الأخرى وفي المنتديات والمخادر الشعبية وفي المجالس الاجتماعية والجمعيات الأهلية وتم تسجيل هذه الأغاني في الاسطوانات التي كانت منتشرة في تلك الفترة في مدينة عدن ومن هنا نعرّج على بعضها – أي هذه الأغاني الوطنية– ونبدأ بـ (أخي كبلوني):

أبدأ بأغنية (سأنتقم) المشهورة باسم (أخي كبلوني)

كلمات الأستاذ / لطفي جعفر أمان
لحن وأداء الأستاذ / محمد مرشد ناجي
كما جاء في أغنيات وحكايات:
في سبتمبر 1955م في التواهي حكم القاضي الانجليزي (فوكس مارو) حكمايقضي بأخذ تعهد من الأستاذ المناضل عبد الله با ذيب بحسن السلوك لمدةخمس سنوات وبضمان مالي ، بتهمة إثارة الكراهية ضد الحكومة لنشره مقالاًفي صحيفة النهضة الأسبوعية تحت عنوان (المسيح الذي يتكلم الانجليزية).

انفعل شاعرنا لطفي جعفر أمان بالحدث فنظم هذه القصيدة ولحنها المرشدي ،وقُدمت هذه الأغنية في حفلات موسمية في مدرسة البادري وفي حفلات أخرىمتتابعة حتى الستينيات.

قال الأستاذ / لطف جعفر أمان لفناننا المرشدي انه تلقى إنذاراً من
أدارة المعارف البريطانية فيه، لفت نظر لمخالفته القانون الوظيفي الذي
يُحرم على الموظف الحكومي التدخل في السياسة، وأنه - أي لطفي - لم يستغربذلك من سلطة الاحتلال.
إنني على يقين أن الأستاذان لطفي و (أبو علي) كانا يعرفان بهذا
القانون الذي يُحرم على الموظف الحكومي التدخل في السياسة.
يذكر الأستاذ / محمد مرشد ناجي أنه عندما كان عضواً هاوياً في (ندو.
الموسيقى العدنية) كان أعضاؤها ممن يتبوءون مراكز وظيفية كبرى في الحكومة، عُلق على أحد جدران مقر الندوة يافطة كتب عليها (السياسية والفن لايتفقان) وهم معذورون - بحسب قول الأستاذ المرشدي.

سأنتقم (أخي كبلوني)
أخي كبّلوني
وغل لساني
واتهموني
بأني تعاليت في عفتي
ووزعت روحي على تربتي
فتخنق أنفاسهم حريتي
لأني أقدس حريتي
لذا كبلوني
وغل لساني واتهموني
أخي .. أخي
أيصفعني الخوف لا يا أخي
أأحبس ناري ؟ لا يا أخي
أنا لطخة العار في موطني
إذا انهار عرضي ولم أصرخ
بحق الوطن
بهذا القسم
أخي قد نذرت الكفاح العنيد
لهذا الوطن
إلى أن أرى أصدقائي العبيد
وهم طلقاء
يقولون ما مات حتى انتقم